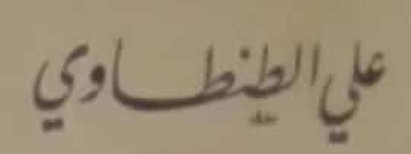
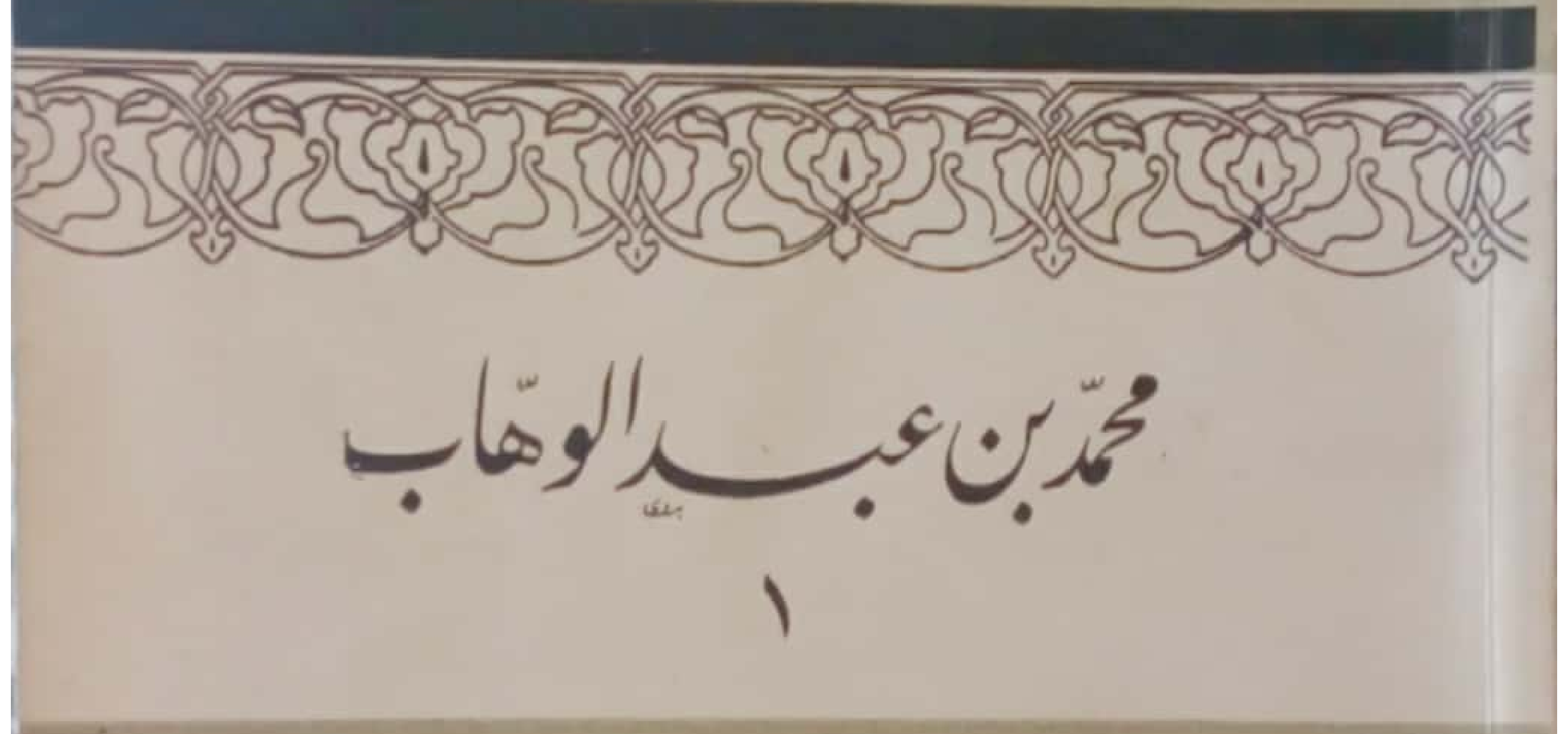


علي الطنطاوي





محمد بن عبد الوهاب

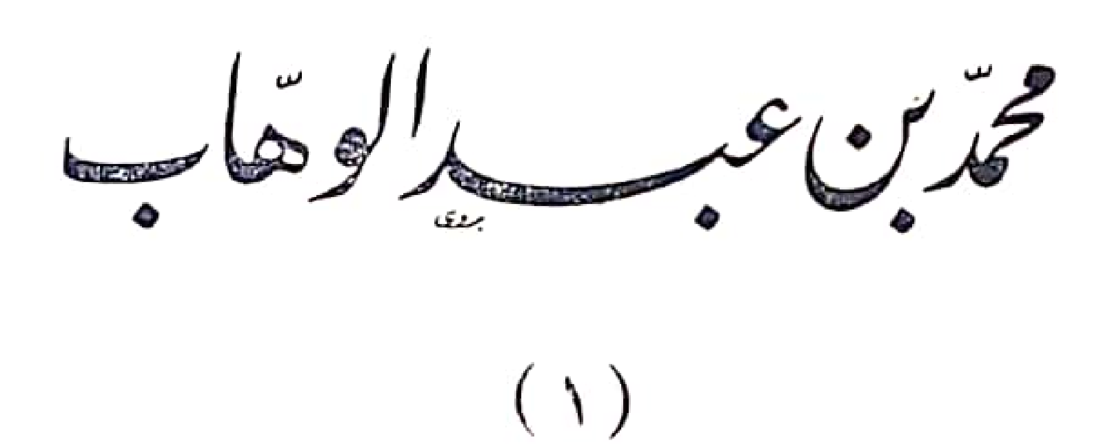
١

أعلام التاريخ

٦

دار الفكر بدمشق

علي الطنطاوي



(١)

دار الفكر بدمشق

الطبعة الأولى

١٣٨١ - ١٩٦١



مطابع دار الفكر بدمشق
☎ ١١٠٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونتوب إليه ونستغفره

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ،

اللهم اجعل عملي هذا خالصا لك ،

اللهم إني أسألك أن تنفع به ، وأن تثيبني عليه ،

وصل اللهم على سيدنا محمد معلّم الخير وعلى آله

وصحبه ومن تبعهم باحسان .

سيرى القارىء حين ينظر في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أنه لم يكن عالماً كبيراً، ولكنه كان معلماً كبيراً. ولقد كان في عصره من هو أعلم منه، واحفظ لفروع العلم، وأكثر إحاطة وتصنيفاً، ولكن لم يكن في عهده، بل لم يكن في المسلمين من خمسمئة سنة إلى اليوم، من هو أعمق منه أثراً في المجتمع الإسلامي، على رغم أنه نشأ في محيط ضيق وفي بلد بعيد عن مركز الحياة الفكرية الاسلامية.

وما اهتز هذا المجتمع هزة، كانت أشد من الهزة التي أحدثها هذا الرجل، وأني لأعجب الآن من عنف (الدعاية) التي حورب بها، ومن قوتها.

حرب الدعاية

لقد أثاروا عليه موجة من (الدعاية)، بلغ من قوتها أنه مرّ عليها أكثر من مئتي سنة، ولم تهدأ تماماً ولا تزال ذيولها تضرب صخرة الشاطىء، وإن فقدت شدتها وحدّتها من زمن بعيد.

ولست أحصي الكتب والرسائل التي ألّفت لمحاربة هذه الدعوة التي سموها (الوهابية)، وعندي منها في مكتبتي أكثر من إحدى عشرة رسالة، جاءت عرضا، ما تتبعتها، ولا ابتغيت جمعها، ولا تزال ترد عليّ

رسائل جديـــدة ، آخرها رسالة تلقيتها من قريب من حلب ، يكرر صاحبها ما قاله قبله ألف كاتب من جواز التوسل ، ويزيد عليهم بأنه (يثبت !) فيها أن (أهل القبور من المؤمنين لهم حياة كاملة بلوازمها من السمع والبصر والكلام) إي والله ، ونسي أن من لوازمها بالطبع الزواج والتجارة ومراجعة المحاكم والقعود في القهوات وأنهم (يردون السلام ويتزاورون فيما بينهم) وهذا كلامه بالحرف ، أي أن لأهل القبور استقبالات وولائم وحفلات ...

ونحن نقرأ اليوم هذا الكلام للتسلية والفكاهة ، ولكنه كان يقرأ من قبل ، على أنه هو الدين ، وهو مذهب الحق ، وأن من أنكره وهابي مبتدع ، حقيق بازدراء الناس وسوء المنقلب .

وهابيون :

ولقد أدركت أنا بقايا القوة في هذه الدعاية ، وكنا نتجادل ونحن صغار في المدرسة في التوسل ، جوازه ومنعه، ونعيد ما كان يقوله الكبار كما يعيده أخونا مؤلف الرسالة الحلبية ... وكان في دمشق نفر قليل من العلماء ، كنا نسمع من مشايخنا التحذير الدائم منهم ، ووجوب البعد عنهم لأنهم وهابيون منهم من نسمع به ولا نعرفه، ومنهم من كنا نعرفه شكلاً ، كالشيخ طاهر الجزائري والشيخ عبد الرزاق البيطار وسبطه الشيخ محمد بهجة البيطار ، والشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ عبد القادر بدران والشيخ

أحمد النويلاتي والشيخ عبد الله العلمي والشيخ عبد القادر المغربي والشيخ سعيد الباني وكان كل من يتصل بهم يعد من الوهابيين، كشكيب أرسلان ومحمد كرد علي ومحب الدين الخطيب، بل لقد اتهموا بذلك فارس الخوري لأنه كان يتردد على الشيخ طاهر، فما خلصه من هذه التهمة إلا علمهم بعد بأنه مسيحي.

مضحكات ومبكيات:

ولقد خبرني الأستاذ أبو الاعلى المودودي أنه كان في بلده (في الهند) مراب مجوسي، يستقرض منه بعض جهلة المسلمين بالربا الفاحش، وكان له على واحد منهم دين عجز عن وفائه، فرفع المرابي الأمر إلى القاضي، فجاء المسلم المسجد فقام فيه، فقال:

- إن فلاناً (المرابي) قد صار وهابياً.

فقاطعه المسلمون حتى كاد يفلس، فتحرى عن السبب، فلما عرفه، رجع إلى المدين فاسقط عنه الدين، وترضاه، على أن ينفي عنه هذه التهمة.

فعاد المسلم إلى المسجد، فقال:

- إن فلانا قد تاب من الوهابية ورجع إلى دينه.

فرجعوا إلى معاملته.

* * *

ولقد ذكرت في ترجمة أحمد بن عرفان الشهيد، خبر الدولة الإسلامية التي أقامها في شمالي الهند، وحاربت السيخ وكسرتهم وعجز عنها الانكليز، فلم يجدوا وسيلة الى القضاء عليها، إلا اتهامها عند شيوخ القبائل الأفغانية، بأنها دولة وهابية،فاستحلوا بذلك قتالها وقضوا عليها.

وخبرني الشيخ فوزان (سفير السعودية الآن في الهند) لما قابلته في بومباي، أن المنبوذين في الهند ،وهم زهاء أربعين مليوناً، قبلوا الدخول في الإسلام، من نحو ربع قرن وأقبلوا عليه أفواجاً، فما كان من الانكليز إلا أن عمدوا إلى سلاحهم القديم،وهو التهمة بالوهابية ،فأثاروا بذلك العامة، وأفهموهم أن هؤلاء إن أسلموا صاروا وهابيين، فعقدت لهم امتحانات، يسألونهم فيها عن الوهابية، ورأيهم فيها وفي مسائلها .

فكانت العاقبة أن انصرفوا عن الإسلام،وآثروا البقاء على ما هم عليه.

وقد قرأ القراء في كتابي عن اندونيسيا خبر وصول هذه الموجة إلى أوساط جزيرة جاوا وأنه ما فرق المسلمين فيها إلا كتب يوسف النبهاني.

ولقد نالني أذى في صغري لأني وقفت على حلقة الشيخ عبد القادر بدران في الأموي، وسمعت اللوم والعتاب في شبابي لأني كسرت القيد، وهتكت الستر حين جمعت الوهابية من أطرافها، فقرأت كتاباً لابن تيمية، مع الأستاذ الشيخ بهجة البيطار في دار الشيخ ياسين الروّاف !

ذلك لأنهم يرون ابن تيمية شيخ الوهابية الأكبر، وإن كان قبل محمد بن عبد الوهاب بقرون .

أسباب هذه الحملة

ولقد اعتاد كثير من المؤرخين نسبة هذه الحملة على الوهابية إلى الدعاية السياسية العثمانية ، مع أن العثمانيين كانوا أعجز من أن يقوموا بها ولا أدري كيف يتصور أن يكون لهم في ذلك العهد هذا الجهاز القوي للدعاية ، الذي تعجز عن مثله دول هـــذه الأيام ؟ لا ، ولكن قام بها المشايخ الذين كانوا ينتفعون من تلك البدع ، وكانت هي مصدر رزقهم ، وسبب تعظيم العامة لهم ، هم الذين قاموا بتلك الدعاية ، وأعانهم عليها الوهابيون انفسهم بتكفيرهم الناس ، واستحلال قتالهم ، وأن الدولة العثمانية عملت على تقوية الدعاية لئلا يستيقظ عرب الجزيرة ، وينالوا من سلطان الترك .

تكفير المسلمين

وسيرى القارىء ، بعد أن يقرأ في هـذه الرسالة سيرة محمد بن عبدالوهاب ويعرف ما دعا إليه ، أن الرجل لم يأت ببدعة ولا أحدث في الإسلام حدثا ، ولم يدع إلا إلى التوحيد الصحيح وإلى الإسلام الحق ، فالدعوة ذاتها لا غبار عليها ، وليس فيها ما يعاب ، إنما يعاب الأسلوب الذي اتبعه فيهـــا ، ذلك أنه رأى ما يصنع بعض الناس عند القبور من مظاهر الشرك ، فاعتبرهم مشركين ، ثم عمم الحكم على كل بلد فيه هذه القباب ، وهذه القبور ، أي أنه حكم بردة المسلمين

جميعاً ، واستحلال دمائهم وأموالهم ، بل لقد استحل ذلك فعلاً . ومن قرأ ما كتب في ترجمته ، ولا سيما كتاب (عنوان المجد في تاريخ نجد) لابن بشر وهو المنبع الذي أخذ منه كل من كتب في ترجمة الشيخ ، من قرأ هذا الكتاب وجد في كل صفحة منه أنهم يشبهون هذه الدعوة بالإسلام أول ما ظهر وصاحبها بالرسول ، وجماعته بالمسلمين ، ومن عداهم بالمشركين الأولين ، ويستعملون ألفاظ السيرة ذاتها : الهجرة والمهاجرين ، والأنصار ، والغزوة ، والسرية وأمثالها .

مع أن الشيخ كان يقول دائماً أنه حنبلي ، والحكم في المذهب الحنبلي أن المسلم إذا ارتد يستتاب ، ويعرض عليه الرجوع ثلاثاً ، فإن لم يعد وكان عاقلاً بالغاً يقتل ، وإن قال أنا مسلم أو تشهد أخذ بظاهر حاله وترك .

هذا هو الحكم في المذهب الحنبلي .

فهل دعا الشيخ كل واحد من القوم الذين حاربهم واستتابه من عبادة القبور (إن صح أنه كان يعبدها) وأمهله ؟ ولم لم يأخذ بظاهر أحوالهم وكلهم يقول : انا مسلم ، ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؟

هذه الرسالة

وبعد فإني لو ألفت هذه الرساله قبل أربعين سنة لشنع عليّ أهل دمشق ، وما تركوني أمشي في الطريق ، ولو ألفتها قبل عشرين سنة ،

لا كبر ذلك أهل نجد ، وملؤوا يدي بالمال . ولكني ألفتها اليوم ، وقد فترت حماسة الوهابيين في الدعوة لها والحرص على نشرها ، وفترت حماسة خصومهم في حربها ، ولم يبق عند الفريقين إلا بقية يتمسكون بها حفظاً للمظاهر فقط وأنا أسارع فأعلن أني لم آخذ عليها إلا بدل حق التأليف الذي آخذ مثله على مثلها من مؤلفاتي. وقد اشترطت على الناشر أن يدعني أكتب ما أعتقد ، وألا ألتزم الدعاية للوهابية ولا (الدعاية ضدها) بل أقول الصدق ، وحيثما انتهى بي الصدق وقفت .

وأنا أعلم أن من القراء من سيقول أني وهابي وأني أخذت أموالاً من السعوديين :

أما قضية الأموال فليس فيها إلا ما ذكرت ، ولم يعد السعوديون يهتمون بأمثال هذه الرسالة ، وقد بلغني أن الأستاذ مسعوداً الندوي رحمه الله وقد كان من أعلام المسلمين في القارة الهندية ، ألف رسالة في تبرئة محمد بن عبدالوهاب مما نسب إليه وأرسلها إلى القوم ، فما وجدت في نجد ولا في الحجاز من يهتم بطبعها .

هذه مسألة الأموال ، فمن قال أني قبضت مالاً ، فالله يعلم أنه يكذب وأنا أشكوه إلى الله وهو حسيبه .

وأما مسأله تهمتي بالوهابية ، فقد أحببت أن أبت فيها بنفسي قبل أن يخوض فيها الناس .

هل أنا وهابي ؟

لست أدري ، فدعوني أمتحن نفسي .

أنا وابن تيمية

لقد نشأت في موجة (الحملة على الوهابية) ، وكنت أنفر من سماع اسم ابن تيمية (وهو الاستاذ الأكبر لابن عبدالوهاب) ثم سافرت إلى مصر سنة ١٩٢٧ فكنت عند خالي الأستاذ محب الدين الخطيب ، فأثر بي هو وجماعة المطبعة السلفية حتى صرت أتعصب لابن تيمية بمقدار ما كنت أتعصب عليه ، ثم عرفت الأستاذ الكوثري[1] ، ولزمته حيناً في دمشق (وذلك سنة ١٩٣٠) فانقلبت على ابن تيميـة مرة أخرى ، ثم صحبت الأستاذ الشيخ بهجة فعدت إليه ، ثم ذهب ذلك كله مع الشباب الذاهب وفترت عصبيتي له ، وعصبيتي عليه ، وغدوت أنظر في ترجمته بأعصاب هادئة ، وفكر حيادي ، فأرى ما له وما عليه ، فمما أراه عليه ، ميله إلى التشبيـه في آيات الصفات ، عفواً ، بل التشبيه الذي يفهم من عباراتـه وإن لم أجزم بأنه كان مشبهاً أو أراد التشبيه ، ومما أراه عليه ، أنه يشغل الناس أحياناً بأمور لا تستحق هذا الاهتمام كله ، كمسألة الزيارة ، وأنا أقرأ حديث (لا تشد الرحال ..) فلا أفهم منه المنع من السفر للزيارة ، إنما أفهم منه المنع من الرحلة للصلاة فقط في غير هذه المساجد ، لأن لها وحدها ميزة ، وباقي المساجد سواء ، ولا يفهم منه المنع من شد الرحال

---

(١) كان آية في العلم وكان مفرداً في علم الرجال ليس له نظير في عصرنا ولكنه كان صاحب عصبية للحنفية والعصبية تبعد صاحبها أحياناً عن جادة الحق

إطلاقاً إلا للصلاة في هذه المساجـد ، بدليل جواز السفر وشد الرحال للتجـارة والسياحـة في الأرض ولطلب العلم ولـكل قصـد غير محرم . فـكيف يجوز أن أسافر إلى المدينة لرؤية آثارها ولا أسافر لزيارة الرسول ﷺ ؟ وكيف يجوز لي أن أسافر لأزور قبر صديق في دوما مثلاً أو في حمص وأسافر لزيارة كل قبر ما دامت زيارة الأموات مشروعة إلا قبر الرسول ﷺ ؟

هذا غلو وتزيّد .

هذا مع الاقرار بأن ابن تيمية أحد العشرة الكبار في تاريخنا العلمي .

وبعد فإني أسأل مرة ثانية هل أنا وهابي ؟

لست أدري فدعوني أنظر في موقفي من المسائل التي يعدها الناس في الشام من مسائل الوهابية .

مسألة آيات الصفات

أما مسألة آيات الصفات التي يكثر القوم الـكلام فيهـا من لدن ابن تيميـة وابن القيم إلى اليوم ، ويردون على المعتزلة والجهمية ومن لست أدري من الطوائف التي انقرضت ، فأنا أرى البحث فيها في غير طائل وكيف أعرف هل علمه تعالى صفة قائمة بـه أو صفة قائمة بذاتها وأنا لا أعرف هل (علمي) أنا صفـــة قائمة بي ، أو هو (شيء) مستقل عني ، وإذا فكرت في ذلك أوشكت أن أفقد عقلي قبل أن أصل إلى نتيجة ، مع أن المسألة متعلقة بي ؟

وأنا أرى أن الشبهة التي أثارها المعتزلة ، وأوصلتهم إلى القول بخلق القرآن ، ودفعت خصومهم إلى إنكار أنه مخلوق ، شبهة واهية من الأساس .

أما الآيات المتشابهة ، كآيات اليد والاستواء وغيرها ، فأنا فيها على طريقة السلف ، الذين لم يكونوا يبحثون فيها أبداً ،لا تأويلاً ولا تعطيلاً ولا تشبيهاً ولا تجسيماً . والله لم يكلفني فهم حقيقتها ، ولكني أجد مع ذلك أن التأويل الذي ذهب إليه المتأخرون لا بدّ منه في كثير من الأحوال التي تعرض للداعية والمناظر ، والتأويل وحمل هذه الآيات على المجاز من سنن العرب في كلامها ،ومن قال بأن اليد لا تكون إلا حقيقية في مثل قوله تعالى (بل يداه مبسوطتان) ردّ عليه الواقع في الآيات الأخرى كآية (بين يدي رحمته) و (بين يدي عذاب شديد) و (لا يأتيه الباطل من بين يديه) ولا يقول أحد في الدنيا ، بأن للرحمة أو أن للعذاب أو للقرآن يدين حقيقيتين .

وردّ عليه وجوب التأويل في مثل قوله تعالى (ومكروا ومكر الله) (يخادعون الله وهو خادعهم) ولا يقول أحد في الدنيا بأن لله مكراً حقيقياً أو خداعاً حقيقياً .

وقد كتبت في هذه المسألة آلاف الصفحات ، ولست أعرف كلاماً فيها أعظم مما قاله الغزالي في رسالته (فيصل التفرقة) وهي مطبوعة فليرجع إليها .

مسألة التوسل

وأما التوسل بالأموات فهو عندي على درجات

منها ما هو خلاف الأولى ولا يحكم على صاحبه بكفر ولا فسق ، كمن يقول « اللهم إني أسألك بجاه فلان» . وأقصى مايقال فيه ، أنه جاء بقضية ليس بين أجزائها ارتباط منطقي،لأن كون فلان هذا له جاه عند الله،أي أن له صلاحاً وتقوى ، لا يقتضي منه لا شرعاً ولا عقلاً ، أن يستفيد هذا السائل من صلاحه وتقواه ، لأن كل انسان ينتفع بعمله ولا ينتفع أحد بعمل الآخر إلا إذا أراد له صاحب العمل النفع به .

ومنه ما كرهه ابو حنيفة كما في كتب المذهب ، وهو أن يقول السائل اللهم أني اسألك بحق فلان ، لانه لاحق لمخلوق على الله.

وأنا أرى أن هذا ايضاً كالاول ، لانه ورد في السنة مثله وهو حديث الأعمى .

وكله خلاف المطلوب شرعاً ، لأن الأصل دعاء الله بلا واسطة .

بقي الطلب من الميت رأساً ، وسؤاله مالا يقدر عليه الا الله ، كمن قال (يارسول الله اشف مريضي) و (يا جيلاني أردد لي ضالتي)وهذا ظاهره الكفر ، وقائله يستتاب منه ، فان لم يتب ؛ وأصرّ عليه ؛ ودل حاله على أنه يعتقد أن الرسول ﷺ يملك الشفاء ، والجيلاني يستطيع رد الضالة ، كان مرتدا ، لان الاصل في التوحيد اعتقاد أنه ليس في الكون وجود ولا عدم ، ولا نفع ولا ضرر،ولا أمر شرعي ولا نهي،إلا بفعل الله ؛ ولكن الله جعل لهذا الكون سنناً و(قوانين طبيعية) وأسبابا

فمن طلب من غير الله في حدود الاسباب لم يكن طلبه مخالفاً للتوحيد لأن السبب من فعل الله ، فنحن بذلك نطلب الشفاء بالدواء ، والشبع بالطعام ، والريّ بالماء ، والجنة بالايمان والصالحات . ولقد أخطأ الغزالي اذ نفى الاسباب ، وقال إنما هي حوادث تتعاقب ، وربما أراد الله فلم يشبع الطعام ولم تحرق النار ، والحق ماقاله ابن القيم من أن الاسباب لاتنكر ، لكن الدعاء سبب من الاسباب ، بل هو اقوى الاسباب ، فاذا وقف فعل الاسباب الظاهرة بالدعاء ، لايكون ذلك ابطالا للسبب بل تعطيلاً له مؤقتاً بسبب أقوى منه، كما يعطل الماء سبب الاحراق في النار إن لازمها واقترن بها ، ولما ألقي ابراهيم في النار ، لم ينزع الله من النار طبيعة الاحراق ، ولم يبطل كونها سبباً له ، بل بدل النار نفسها فجعلها عليه برداً وسلاما .

والميت على هذا الاساس ، لايستطيع أن ينفع الحي بتقديم سبب النفع المادي ،ولا بتقديم سببه المعنوي الذي هو الدعاء،لأن الدعاء من فعل الأحياء ، فانتفت بذلك قدرته على نفع الحيّ إطلاقاً .

الكتاب والسنة :

وأصل الأصول في العقائد ، أن الأمور المشاهدة مرجعها الحسّ ، فما اثبته الحسّ فهو واقع ، ومن انكره لم يكن عاقلا. والأمور المغيبة مرجعها خبر الصادق فما أخبر به الله ، أو وردت به السنة الثابتة التي تفيد العلم فهو واقع ، ومن انكره لم يكن مسلماً .

والكتاب والسنة سواء في أصل الواقع في الدلالة الشرعية ، أي ان من سمع الآية من الرسول ﷺ ذاته ، وسمع منه الحديث ، لم يسعه أن يفرق بينهما في قوة الدلالة ، انما جاء التفريق (بالنسبة الينا) لان الآيات نقلت بالفاظها وحروفها نقلا متواتراً لاشك فيه ، والاحاديث اكثرها نقله آحاد عن آحاد .

ولقد عمل المحدثون في تحقيق طرق نقل الاحاديث (أي في اسنادها) مالا يمكن أكثر منه ، وبذلوا في ذلك أقصى طاقة البشر ؛ فالحكم على اسانيد الاحاديث قد انتهى الأمر فيه . أما المتن ، فالأصل فيه أن كل صحيح السند صحيح المتن ، إلا ما كان فيه علة في متنه ، ومن العلل مخالفة الحديث للقرآن كحديث خلق العالم في سبعة ايام (وهو في الصحيح) أو مخالفته للواقع المشاهد كحديث الحبة السوداء ، وحديث الـ (سبع تمرات والسم) فهذه الأحاديث وأمثالها صحيحة السند ، لكنها معلولة المتن .

حياة الرسول في قبره

أما حياة الرسول ﷺ ، فالرسول بالنسبة الى مقاييس الحياة البشرية الدنيوية ميت ، والولد الصغير يعرف من السيرة أنه ولد عام الفيل ومات بعد الهجرة باحدى عشرة سنة . وأن أبا بكر خطب فقال « من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات » .

واذا كان الحي هو الذي يتنفس ويتحرك ويأكل ويشرب فكيف يستطيع عاقل أن يقول انه حي بهذا المعنى في قبره ؟

فما القول اذن ؟

القول الحق ، أن تعرف أن حياة الانسان لها اربعة مراحل ، كل مرحلة بالنسبة لما بعدها ، كالتي قبلها منها : حياته وهو جنين في بطن أمه وحياته في هذه الدنيا ، وحياته في البرزخ ، وحياته في الآخرة .

والجنين في بطن أمه لو أمكن أن يكلم وتوصف له هذه الدنيا ، لما استطاع تصورها ، لان الدنيا عنده هي هذه الاغشية وهذه الظلمة التي تحيط به ، كذلك الواحد منا في هذه الدنيا لايستطيع تصور الحياة الاخرى ، مع أنها أوسع من هذه الدنيا وأعجب ، بمقدار ماالدنيا اوسع وأعجب من بطن المرأة الذي فيه الجنين ، والجنين اذا ولد يطرح المشيمة عنه ، ولا تكون منه ، كذلك يطرح الميت جسده ولا يراه منه ، فما في التراب الا هذا الجسد ، هذا الثوب الذي نزع ، أما الانسان ففي عالم آخر .

ولذلك وصف الله الشهداء ، بانهم أحياء (عند ربهم) ، أي ليسوا أحياء عندكم ، وقال لنا (ولكن لاتشعرون) بهذه الحياة .

والرسول ﷺ حيٌّ عند ربه، في عالم أوسع وأسمى وأجمل، وما في القبر الا جسده الشريف الذي لبسه مدة هذه الحياة ، ثم خرج منه ، ولا نعرف شيئاً عن هذه الحياة .

وحبه ﷺ فرض على المسلم ، ولكن هذا الحب ليس كما يفهم من ينشد هذه الاناشيد التي فيها ذكر العشق والوصال وذلك الكلام الفارغ، لا ، ولكن حب الطاعة والامتثال ، وتقديم مايحبه الرسول ﷺ منا على شهوات نفوسنا ونزعات أهوائنا .

الكرامات

أما الكرامات فقد قال محمد الخضر الحسين شيخ الازهر السابق (١)

(أما الكرامات فقد ذهب أهل السنة الى جوازها ، بل اثباتها . ولكن الناس بالغوا أو أكثروا من نسبتها الى الشيوخ الصوفية . ولعل هذه المبالغة والإكثار كانا سبب اثارة البحث عنها حوال آخر القرن الرابع . فنرى أبا إسحاق الاسفراييني يجعل للكرامة حداً ، فيقول :

غاية الكرامة إجابة دعوة، أو شربة ماء في مفازة، أو كسرة في منقطعة. ونرى أبا القاسم القشيري يقول :

الكرامة لا تصل الى وجود ولد من غير اب ، ولا الى قلب جماد حيواناً . واذا تحدث الناس بكرامات لبعض الشيوخ لم يقع مثلها من الصحابة أو السلف الذين هم خير القرون لم تقبل لمجرد تناقل الالسنة لها.

قيل لابي حيان: ماذا تقول في الشيخ ابي مدين ؟

---

(١) في كتابه رسائل الإصلاح ص ١٣

قال : هو رجل دين ، وما يطير في الهواء ، ولا يصلي الصلوات الخمس في مكة كما يدعي بعض الناس) .

وقال : في البزازية [1]

وقد ذكر علماؤنا أن ماهو من المعجزات الكبار كإحياء الموتى وقلب العصا حية ، واشباع الجمع من الطعام القليل وخروج الماء من بين الاصابع لايمكن اجراؤه كرامة لولي ، ومنه طيُّ المسافة لقوله ﷺ « زويت لي الأرض » فلو جاز لغيره لم يبق فائدة للتخصيص .

وفي المنظومة الوهبانية [2] .

ومن لوليّ قال:« طيّ مسافة   يجوز»جهول ثم بعض يكفر

وابواسحاق الاسفراييني هو الاصولي الفقيه المشهور ، والسيد الخضر ينقل كلمته كما بين في الحاشية عن العواصم من القواصم للامام أبي بكر بن العربي [1] ، والقشيري هو الصوفي المشهور ، صاحب (الرسالة القشيرية) التي تعدعند أهل التصوف مثل كتاب سيبويه عند أهل النحو .

ويتبين من كلمته أن ما شاع على الألسنة من قولهم (كل ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي) غير صحيح عند أبي القاسم القشيري . وهو ليس بصحيح في الواقع .

---

(١) وهي من كتب الحنفية الموثوق بها

(٢) وهي معتبرة عند الحنفية

(٣) هذا ابن العربي اما ذاك (أي الشيخ محي الدين) فيعرف بابن عربي

والذي أعتقده أن وقوع الكرامة ممكن واعتقاد ذلك واجب ،لأن في القرآن مايشير إليه، كقصة زكريا ومريم (كلما دخل عليها زكريا المحراب) وقصة (الذي عنده علم من الكتاب) . فمن أنكر إمكان وقوعها كفر أما الكرامات المعينة التي تنسب إلى أشخاص معينين ، فأخبار تحتمل الصدق والكذب ، والأصل فيها العدم ، فعلى (مدّعيها) الاثبات ،لأنه يدعي خلاف الأصل ، ومن صدق بها لا شيء عليه ، ومن كذب بها لا شيء عليه .

ونحن نرى الميل إلى الاستكثار من الخوارق يزداد ، كلما توالت القرون وازداد المسلمون ضعفاً،لا أعني الكرامات فقط ، بل المعجزات، فإن الذي يروى من معجزاته ﷺ في سيرة ابن هشام لا يبلغ عشر ما يروى في السيرة الحلبية وأمثالها ، مع سبق تلك وتأخر هذه .

الأولياء

ثم إن كلمة (الولي) لها معنيان :

معنى قرآني

ومعنى عامي

أما المعنى القرآني : فهو ان الولاية تدل على معنى النصرة والتأييد ، والناس بهذا المعنى قسمان : أولياء الله ،وأولياء الشيطان . (الله ولي الذين

آمنوا) (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) . والولي هو كل مؤمن تقي (ألا أن أولياءَ اللهِ لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون)

أما المعنى العامي ، فهو أن الولي هو الذي يأتي بالخوارق ، و (يقرأ الأفكار) ، وربما كان مجانباً للتقوى ، كما هي الحال فيمن يترجم لهم الشعراني في طبقاته ،فإنه ينسب لبعض من يسميهم أولياء ، ويترضى عنهم، ارتكاب المحرمات ، وكشف العورات ، وترك الصلوات ، وفعل الفاحشة بالحيوانات ، وغير ذلك مما هو موجود في كتاب الطبقات المطبوع ، والكرامات بهذا المعنى ، كأنها (ترجمة) لكلمة العجائب التي ينسبها النصارى لقديسيهم .

وقد بين السيد الخضر في رسائل الإصلاح صفحة ٥ وما يليها (أن ما كان عليه جماعة الصوفية من الانقطاع إلى العبادة وحدها ، والاعراض عن الدنيا جملة ، عند اليونان والبوذيين والفرس والنصارى مثله وأن فريقاً من أصحاب رسول الله ﷺ اجتمعوا وقرروا فيما بينهم أن يواصلوا الصيام ، ويعكفوا على العبادة ، ولا يقربوا النساء والطيب . وأن يرفضوا الدنيا ، ويسيحوا في الأرض . فبلغ رسول الله ﷺ أمرهم فنهاهم في خطبة جامعة ، وأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) .

والذي أعتقده في مسألة الصوفية ، أن لموضوع التصوف أصلاً أصيلاً في الدين ، لأن الدين ما جاء لاعمال الجوارح فقط ، بل للنيات والمقاصد والقلوب ، ومن صلى الصلاة الكاملة في قيامها وقعودها ، وركوعها وسجودها ، ولم تكن نيته بها وجه الله ، بل الرياء والخداع ، لم يكن لها عند الله وزن . فإن كان المراد من التصوف هو تصحيح النيات ، ومداواة أمراض القلب، وإصلاح السرائر ، كان لبّ الدين بشرط الوقوف فيه عند حدود الكتاب والثابت من السنة ، كما كانت الحال في القرن الأول والثاني ، ثم أحدث (التصوف) المعروف وصارت له رسوم خاصة واصطلاحات فاختلط فيه الصحيح بالفاسد ، والحسن بالسيء ، فما كان من (وحدة الوجود) و (مسألة الاقطاب والأوتاد) و(دعوى التصرّف في الكون)ودعوى أن للدين ظاهراً وباطناً، فالظاهر هو الشرع والباطن هو الوساوس والخطرات التي تعرض لأصحاب الرياضات ، وتفسير القرآن بها تفسيراً لا يؤيده أثر ولا تحتمله اللغة ، وأمثال ذلك فهو مردود ، وليس من الإسلام .

أما الكلام في أشخاص بأعيانهم كمحي الدين بن عربي وابن الفارض والشعراني وعبد الغني النابلسي، فأنا لا أحكم على الأشخاص بكفر ولا إيمان، لأني لا أعرف ما ختم الله لهم به ، والله لم يكلفني البحث عنهم ، والحكم

عليهم ، ولست مع من يكفرهم ولا مع من يجعلهم أئمة في الدين ولكن أقول ، إن في الكتب المأثورة عنهم المنسوبة إليهم كفراً صريحاً ، بل إن ما فيها شر أنواع الكفر وأخبثه على الاطلاق ، فمن كان يقول به ويعتقده كان كافراً .

البدع

وأما البدع فإن من قال بأن فيها الحسن والسيء ، أخذ الكلمة بمعناها اللغوي ، وأدخل فيها كل ما جد بعد رسول الله ﷺ ، ومما جد جمع القرآن ، والاجتماع على التراويح ، وتدوين العلوم (١) .

ولا خلاف في أن العبادات لا يجوز فيها الابتداع ، ومن اعتقد أن الجهر بالصلاة على الرسول بعد الأذان أكمل وأرضى لله ، من الإسرار بها والوقوف في الأذان عند (لا إله إلا الله) يكون قد نسب النقص إلى الرسول ﷺ . ولا خلاف في أن جمع القرآن وأمثاله من الأمور المشروعة .

ومن قال بأنها سيئة كلها فقد أخذها بمعنى البدعة في العبادات الخالصة (٢) .

---

(١) الدر والحاشية ج ١ ص ٣٧٦ وما فيها منقول عن العز بن عبد السلام في كتابه (قواعد الأحكام) ص ١٩٥ طبع مصر سنة ١٩٣٤

(٢) انظر الاعتصام للشاطبي والإبداع للشيخ علي محفوظ الذي كان يدرس رسمياً في الأزهر .

فالخلاف إذن بين هؤلاء وأولئك خلاف لفظي .

وأنا مع من ينكر البدع في العباذات كلها [1] ، ولكني لا أكفر من فعلها ، ولا أستحل قتاله ، بل أعظه وأبين له .

حلقات الذكر

أما هذا الذي يسمونه ذكراً ، ويستحلون فيه السماع والرقص ، فانا فيه على مذهب الحنفية ، وقد قرر ابن عابدين في الحاشية حرمته ، وروي أن من استحله يكفر .

قال ابن عابدين في الحاشية ما نصّه :

المراد به التمايل والخفض والرفع بحركات موزونة كما يفعله بعض من ينتسب إلى التصوف في زماننا ، وقد نقل في البزازية اجماع الأئمةعلى حرمة هذا الغنـاء وضرب القضيب والرقص ، قال : ورأيت في فتوى شيخ الإسلام جلال الملةوالدين الكرماني انمستحل هذا الرقص كافر.

ونقل أنه فاسق لا كافر .

---

(١) أما التراويح فليست بدعة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم منع الاجتماع عليها خوف افتراضها فلما زال المانع بعده صلى الله عليهوسلمعاد الممنوع وهوالاجتماع عليها وهي من قيام الليل ولم يحدد الشرع عدد ركعاتها كما حدد ركعات الفرائض فمن صلاها ثماني ركعات فقد أحسن بالاتباع ومن بلغ بها العشرين أوزاد فقد أحسن بالازدياد من الخير

ثم نقل ابن عابدين عن ابن كمال باشا ما خلاصته ان من غلبه الحال، فقام من غير إرادة ولا شعور فلاشيء عليه (١)

وقال السري (السقطي من شيوخ التصوف) : شرط الواجد في غيبته أن يبلغ إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لا يحسّ به .

وقال ابن عابدين(٢) :

كره رفع الصوت عند قراءة القرآن والجنازة والزحف والتذكير فما ظنك به عند الغناء الذي يسمونه وجداً ومحبة ، فإنه مكروه لاأصل له في الدين وما يفعله متصوفة زماننا حرام، لا يجوز القصد إليه والجلوس مع أهله . ولم يفعله من قبلهم ، وما نقل من أنه ﷺ سمع الشعر لم يدل على إباحة الغناء ، وحديث تواجده عليه الصلاة والسلام لم يصح . وكان النصر ابازي يسمع (أي ما يسمى اليوم الأناشيد النبوية والصوفية) فعوتب ، فقال : إنه خير من الغيبة .

فقيل له : هيهات بل السماع شر من اغتياب الناس سنوات .

مسائل الوهابية في كتب الحنفية :

وأكثر المسائل التي يعتبرها الناس من (الوهابيـة) ويسمون من من يقول بها (وهابياً) موجودة في كتب الحنفية

---

(١) الحاشية ، الجزء الثالث ، آخر (باب المرتد) والفتاوى الهندية ٥ : ٣١٧
(٢) الحاشية الجزء الخامس (كتاب الحظر والإباحة)

فمن ذلك أنهم نصوا على أن الأذان ينتهي بـ (لا إله إلا الله) . قال في المبسوط (١-١٢٩) : والثابت ، أن آخر الأذان (لا إله إلا الله) وعلى قول أهل المدينة (لا إله إلا الله والله أكبر) ويروون فيه حديثاً ولكنه شاذ لأنه مما تعم به البلوى (أي أنه أمر مشهور مشاهد فلو كان واقعاً لرويت فيه أحاديث كثيرة) والاعتماد في مثله على المشهور وهو حديث عبدالله بن زيد على ما توارثه الناس إلى يومنا هذا (أي بانتهاء الأذان عند (لا إله إلا الله) .

وقال في الهندية (١-٥٥) ، الأذان عندنا خمس عشرة كلمة وآخره (لا إله إلا الله) ، كذا في فتاوى قاضيخان . وهي :

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، حي على الفلاح الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، هكذا في الزاهدي .

رفع الصوت بالذكر

ونص الحنفية على أن رفع الصوت بالذكر حرام ، وقد صح عن

ابن مسعود أنه سمع قوماً اجتمعوا في مسجد يهللون ويصلون على الرسول جهراً ، فغدا عليهم فقال :

ما عهدنا هذا على عهده ﷺ وما أراكم إلا مبتدعين .
وما زال يكرر ذلك حتى أخرجهم من المسجد .

ويجوز رفع الصوت بالذكر في مثل الأذان والخطبة والحج وأمثالها لأن الجهر بها ليس بدعة . وتتمة المسألة في البزازية (١)

حلقات الذكر!

وسئل الحلواني عمن سموا أنفسهم صوفيـة ، فاختصوا بلبس معين واشتغلوا باللهو والرقص وادعوا لأنفسهم مـنزلة قال : افتروا على الله كذباً . وأفتى بأنهم ينفون من البلاد .

وقال في السماع والقول (النشيد) والرقص الذي يفعله المتصوفة : حرام لا يجوز القصد إليه والجلوس عنده ، الخ . (٢) .
وفي الدر ، هل يكره رفع الصوت بالذكر والدعاء ؟ قيل : نعم .

قال ابن عابدين وقوله : (قيل نعم) يشعر بضعفه مع أنه هو الذي

---

(١) هامش الهندية ٦ـ٣٧٩ ومثله في الدر المختار (هامش الحاشية ١:٤٤٤)
(٢) هندية ٥ ـ ٣٥٢

مشى عليه في المختار والملتقى ، فقال وعن النبي ﷺ أنه كره رفع الصوت عند قراءة القرآن والجنازة والتذكير ، فما ظنك عند الغناء الذي يسمونه وجداً ومحبة ، فإنه مكروه لا أصل له في الدين (١) .

الدعاء على المنبر

وأن دعاء المذكر على المنبر والقوم يدعون معه إن كان لتعليمهم لا بأس به ، وإن لم يكن لتعليمهم فهو مكروه (٢) .

وأن التكبير (في غير أيام التشريق) بعد الصلاة يكره وهو بدعة وكذا بعد الورد (٣) .

رفع الصوت عند القراءة

وأن رفع الصوت عند سماع القرآن والوعظ مكروه وما يفعله الذين يدعون الوجد والمحبة لا أصل له ويمنع الصوفية من رفع الصوت (٤) .

قالوا ، ويكره الصعق عند القراءة لأنه من الرياء وهو من الشيطان

---

(١) حاشية ٥ــ ٢٥٥
(٢) هندية ٥ ــ ٣١٨
(٣) هندية ٦ ــ ٣١٨
(٤) الفتاوى الهندية ٥ ــ ٣١٩

وقد شدد الصحابة والتابعون والسلف في المنع من الصعق والزعق والصياح عند القراءة كذا في القنية [1].

قراءة القرآن بالألحان

وقراءة القرآن والأذان بألحان الغناء ممنوعة.

قال أكثر المشايخ: إن ذلك يكره ولا يحل، لأن فيه تشبهاً بفعل الفسقة حال فسقهم وكذا كره هذا النوع في الأذان ولا خلاف في أن اللحن حرام. [2]

وفي البزازية أيضاً، قراءة القرآن بالألحان (أي ألحان الغناء كما يقرأ اليوم) معصية والتالي والسامع آثمان [3] ومن سمع هذه القراءة فقال للقارىء «احسنت» يخشى عليه الكفر [4]

بدع القراءة

وتعداد القراءات في الآية الواحدة مكروه [5] وهو ما يفعله قراء هذه الايام.

---

(١) الهندية ٥ ـ ٣١٧

(٢) البزازية وتتمة المسألة فيها (هامش الهندية ٦ ـ ٣٥٣) ومثله في الهندية (٥ ـ ٣١٧) نقلاً عن الوجيز، وفي الهندية (١ ـ ٥٦) نقلاً عن السراجية.

(٣) هامش الهندية ٦ ـ ٣٧٩

(٤) الدر، هامش الحاشية ٥ ـ ٢٧١

(٥) الدر هامش الحاشية ٥ ـ ٢٧١

ولا تجوز قراءة القرآن طمعاً في الدنيا [١] .

والتبليغ عند عدم الحاجة اليه بأن بلغهم صوت الإمام مكروه واتفق الأئمة الأربعة على أن التبليغ حينئذ بدعة منكرة [٢] .

التبليـغ

قال في الدر المختار : وبه علم جواز رفع المؤذنين أصواتهم في جمعة وغيرها ، يعني أصل الرفع ، أما ماتعارفوه في زماننا فلا يبعد أنـه مفسد للصلاة اذ الصياح ملحق بالـكلام . [٣]

ترقية الخطيب يوم الجمعة

والترقية المتعارفة في زماننا تكره عنده لا عندهما ، وأما ما يفعله المؤذنون من الترضي عن الصحابة والدعاء للسلطان عند ذكره بأصوات مرتفعة فمكروه اتفاقاً . [٤]

قال ابن عابدين : ومنه ماهو معتاد عندنا أيضاً من الصلاة على النبي ﷺ عند صعود الخطيب مع تمطيط الحروف والتنغيم . [٥]

---

(١) حاشية ١ـ٤٩٢ ، هندية ٥ـ٣٦٦
(٢) الحاشية ١ـ٣٢٠
(٣) الدر على هامش الحاشية ١ـ٣٩٦
(٤) الدر على هامش الحاشية ١ـ٥٥١
(٥) حاشية ١ـ٥٥٢

وقال : وكون ذلك متعارفاً لايقتضي جوازه ولا عبرة بالعرف الحادث اذا خالف النص لان المتعارف إنما يصلح دليلا على الحل اذا كان عاماً من عهد الصحابة والمجتهدين . (١)

الدعاء للسلطان

والدعاء للسلطان في الخطبة لم يكن وجوزه القهستاني ويكره تحريماً وصفه بما ليس فيه . (٢)

قال المحشي ابن عابدين : ومراد القهستاني الجواز لا الندب لانه حكم شرعي لابد له من دليل ، وهو محدث وانما كانت الخطبة تذكيراً .

تكرار الجماعة

وقرروا أن تكرار الجماعة في مسجد له إمام راتب مكروه .

وقال ابن عابدين ، وذلك لما روى عبد الرحمن أبي بكر عن أبيه أن رسول الله ﷺ خرج من بيته ليصلح بين الانصار فرجع وقد صلى بالمسحد بجماعة ، فدخل منزل بعض أهله فصلى بهم جماعة فلو لم

---

(١) حاشية ١ : ٥٥١

(٢) الدر على هامش الحاشية ١ ـ ٥٤٤

يكره تكرار الجماعة في المسجد لصلى فيه ،وروى عن أنس أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا اذا فاتتهم الجماعة في المسجد صلوا في المسجد فرادى ، ولأن التكرار يؤدي الى تقليل الجماعة لان الناس إذا علموا أنها تفوتهم الجماعة تعجلوا فكثروا وإلا تأخروا [١] .

صلاة العيد

قال في الدر : السنة صلاة العيد في الجبانة أي المصلى العام ولو كان المسجد يسعهم .

قال ابن عابدين : وقال بعضهم ليس بسنة وانما تعارف الناس ذلك لضيق المسجد وكثرة الزحام ، والصحيح الأول (أي أنه سنة ولو لم يضق المسجد) [٢] .

بدع المآتم

وأنها تكره صلاة الجنازة في المسجد ويكره رفع الصوت في الجنازة [٣]

قال ابن عابدين : وفي البزازية ، ويكره اتخاذ الطعام في اليوم الأول

---

(١) المسألة مفصلة في الحاشية ١ـ٢٦٥ و ١ـ٣٧١

(٢) الحاشية ١ـ٥٥٧

(٣) بزازية على هامش الهندية ٤ـ٧٩ و ٤ـ٨٠ و حاشية ١ـ٥٩٣

والثالث وبعد أسبوع ونقل الطعام إلى القبر في المواسم واتخاد الدعوة لقراءة القرآن وجمع الصلحاء والقراء للختم أو لقراءة سورة الانعام، والحاصل أن اتخاذ الطعام عند قراءة القرآن يكره.

ثم قال: ولا سيما إن كان في الورثة صغير أو غائب مع قطع النظر عما يحصل عند ذلك غالباً من المنكرات الكثيرة كايقاد الشموع والقناديل التي لا توجد في الأفراح وكدق الطبول والغناء بالأصوات الحسان واجتماع النساء والمردان وأخذ الأجرة على الذكر وقراءة القرآن وغير ذلك مما هو مشاهد في هذه الأزمان، وما كان كذلك فلا شك في حرمته وبطلان الوصية به [1].

الجلوس لتلقي التعزية مكروه [2].

الوصية بالختمات والتهاليل

وقرروا بطلان الوصية بالختمات والتهاليل.

قال ابن عابدين، أما وصايا أهل زماننا فإن الواحد منهم يكون في ذمته صلوات كثيرة وغيرها من زكاة وأضاحٍ وأيْمان فيوصي لذلك بدراهم يسيرة ويجعل معظم وصيته لقراءة الختمات والتهاليل التي نص

(١) حاشية ١ - ٦٠٣

(٢) حاشية ١ - ٦٠٤

علماؤنا على عدم صحة الوصية بها وأن القراءة لشيء من أمور الدنيا لاتجوز وأن من يأخذ الأجرة على القراءة ومن يعطيها آثمان والأجرة على قراءة القرآن لا تجوز (١) . ولابن عابدين رحمه الله رسالة مستقلة في هذا الموضوع .

القبور

وقرروا كراهية الصلاة إلى القبر (٢) .

والقبر لا يجصص ولا يبنى عليه ولا يرفع أكثر من شبر ولا يجوز عنده إلا ما عهد من السنة وهو الزيارة والدعاء قائماً ، ويكره أن يبنى عليه مسجد أو غيره (٣) .

وإذا أراد زائر القبور الدعاء استقبل القبلة .

قراءة القرآن في المقابر جهراً تكره (٤) .

وزائر قبره ﷺ يقف عند رأسه مستقبل القبلة ويدنو ثلاثة أذرع أو أربعة لا يدنو أكثر من ذلك ولا يضع يده على جدار التربة ثم يقول: السلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته ، أشهد أنك رسول الله

---

(١) الحاشية ١-٤٩٢

(٢) هندية ٥-٣٢٠

(٣) هندية ٥-١٦٦ ومثله في الدر وفي الحاشية ١-٦٠١

(٤) هندية ٥-٣٥٠

قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة ، وجاهدت في أمر الله حتى قبض روحك حميداً محموداً ، فجزاك الله عن صغيرنا وكبيرنا خير الجزاء ، وصلى عليك أفضل الصلاة وأزكاها ، اللهم اسقنا من كأسه وارزقنا من شفاعته (١) .

التوسل

وفي البزازية : ويكره أن يقول في الدعاء بحق فلان وبحق محمد لأنه لا حق لأحد على الله ، ومثله بحرمة محمد (عليه الصلاة والسلام) (٢) .

متفرقات

ومن سب أبا بكر وعمر أو أحدهما يكفر (٣) .

قال في البزازية : إخراج الشموع إلى القبور بدعة وإتلاف مال .

ورمي عش الخفاش والخطاف من المسجد بفراخه إن كان بعذر يجوز (٤)

---

(١) هندية ١ــ٢٦٥

(٢) البزازية المطبوعة على هامش الهندية ٦ــ٣٥١ ومثله في الهندية ٥ــ٣١٨ ومثله في الحاشية ٥ــ٢٥٤

(٣) حاشية ٣ــ٢٩٣

(٤) هامش الهندية ٦ــ٣٧٢

كتابة القرآن على الحيطان والمحاريب غير مستحسن[١].

الرسول لا يعلم الغيب

وقرروا أن من جاء بكفر ولو هازلاً كفر ـ[٢].

وقرروا أن من اعتقد أن الرسول يعلم الغيب الآن يكفر، وعللوا ذلك بأنه ﷺ ما كان يعلم الغيب في حياته ليعلمه بعد وفاته ـ[٣].

الذبح

وقرروا أن من ذبح لوجه إنسان في وقت الخلعة والتهاني كان كفراً والمذبوحة ميتة لا تؤكل[٤] ـ.

وفي الدر: ذبح لقدوم الأمير ونحوه كواحد من العظماء يحرم لأنه أهل به لغير الله ولو ذكر اسم الله عليه وهل يكفر قولان، عن البزازية وشرح الوهبانية[٥].

---

(١) البزازية على هامش الهندية ٦ـ٣٧٣

(٢) بزازيةهامش الهندية ٣ـ٥٧٧

(٣) بزازية هامش الفتاوى الهندية المجلد الثالث الصفحة ٥٧٦

(٤) البزازية هامش الهندية ٣ـ٥٧٦

(٥) هامش الحاشية ٥ـ١٩٦

وقرروا أن تعظيم النيروز كما يعظمه الكفرة[1] بأن اشترى فيه شيئاً لم يكن يشتريه في غيره كفر[2].

وقرروا ، أن من صدق كاهناً ، أو ادعى أنه يعلم الغيب يكفر[3].

ومثله العراف وضارب الرمل والمنجم والذي يضرب بالحصا والذي يزعم أن له صاحباً من الجن يخبره عما سيكون[4].

تعليق المرأة حجاباً أو نحوه ليحبها زوجها حرام[5].

الدعوة لترك العصبية :

هذا ، وأنا لم أسرد هذه النصوص على أنها (كلها) من القول المعتمد في المذهب ، أو أن ما فيها هو الحكم القطعي في الإسلام ، فإن فيها ما يقابله قول آخر لعلماء آخرين .

ولكن سردتها لأبين أنه لا يصح أن ينكر المسلم قولاً لمجرد أن

---

(١) ومثله كل عيد للكفار

(٢) البزازية هامش الهندية ٣ـ٥٧٧

(٣) بزازية هامش الهندية ٣ـ٥٧٦

(٤) حاشية ٣ـ٢٩٧

(٥) هندية ٥ـ٣٥٦

القائلين به مخالفون له في المذهب أو المشرب ، بل لا يجب عليه أن يتقيد بآراء جماعة معينة ، لا يعدل عنها ولو ظهر له خطؤها، وتبين له أن الحق في غيرها .

والحق الذي لا يعدل عنه ، هو ما جاء فيه نص صريح من كتاب أو سنة ثابتة الورود قطعية الدلالة ، أما ما كان فيه آية ليست نصاً في المسألة وحديث يحتمل وجهاً آخر من وجوه الاجتهاد فلا مانع من تعدد الأقوال فيه .

ومن المسائل ما نجد فيه قولين ، قال بكل منهما طائفة من علماء أهل السنة والجماعة ، ممن لا مطعن عليه في دينه ولا في علمه ، فليس على متبع قول منهما أن يطعن على متبع القول الآخر أو أن يشنع عليه .

فمن كان مشربه سلفياً لا يطعن على من مشربه صوفي ، ومن كان مع ابن تيمية لا ينكر على من كان مع السبكي ، ما دام الجميع مسلمين مستندين فيما ذهبوا إليه إلى دليل شرعي .

والله لم يجعل الحق كله مع واحد من هؤلاء ، والباطل كله مع الآخر وكلهم بشر يخطىء ويصيب وليس فيهم معصوم .

واتهام كل من دعا إلى تصحيح العقيدة ، ونبذ البدعة ، بأنه وهابي خطأ في نظر الدين ، وحماقة في نظر العقل ، وقصة قديمة بليت من كثرة الترداد .

وقد تبين من هذه النقول أن كثيراً مما يعد اليوم من مسائل الوهابية قال به الحنفية ، وفي المذاهب الأخرى أمثال هذه النقول ، ومن رجع إلى كتاب (الإبداع في مضار الابتداع) المقرر تدريسه في الجامع الأزهر وجد فيه الأدلة على إبطال الابتداع في العبادات .

الغاية من تأليف هذه الرسالة :

ولقد كتبت هذه الرسالة، لتكون (إن شاء الله) وسيلة إلى السلام والوئام ، لا زيادة في الجدال والخصام وفيها ما يوافق من يسمون بالوهابية ، وفيها ما يوافق المنكرين عليهم ، وما أردت هذا ولا ذاك ، ولكن قلت ما أراني الله أنه الحق ، فوافق هؤلاء مرة وأولئك مرة ، لتعلم كل جماعة أن الحق لم يكن وقفاً عليها ، وأن الميزان هو الكتاب والسنة ، فما وافق قبلناه ، أياً كان القائل به،وما خالف رددناه ، لا نقر باطل موال لولائه، ولا نأبى حق مخالف لخلافه .

وقد كنت أقرأ من أيام كتاب الشيخ جمال الدين القاسمي في (تاريخ الجهمية والمعتزلة) فرأيت فيه من الإنصاف ومن السعي لرفع الخلاف ، مالم أجد مثله لغيره ، فهو ينبّه أولاً إلى أمر مهم، قلما ينتبه إليه الباحثون من العصريين ، وهو (أن على من يؤرخ مذهب قوم ، وعلى من يناقش فرقة في مذهبها أن ينقل آراءها عن كتب علمائها الثقات ويعزو ما ينقله إلى مصدره) ثم يرد على السبكي لأنه يحكم على الجهمية بالابتداع وهو يقر بأنه لا يعرف مذهبهم .

ثم يحكم بين الجهمية وخصومهم فيقول (إن الجهمية قصروا في علوم السمع والنقل ، وهو علم الرواية، فجانبوا كثيراً من الروايات المشهورة المعروفة عند أهلها ، وتمحلوا في ردها أو تأويلها بما لا يرتضيه منصف ففاتهم أصل عظيم من أصول الشرع وهو السنة ، الخ ...

وأما خصومهم فقد أتقنوا علم السمع ، وعلموا منه كثيراً ، وتواتر لهم ما لم يتواتر لغيرهم، إلا أنهم ظنوا أن العلوم العقلية معارضة لما عرفوه من السمع ، وحسبوا أن الإصغاء لعلم المعقول يستلزم البدعة ، مع أن العقل السليم لا ينافي السمع الصحيح ، الخ ...) .

انبذوا المتعصبين :

ولو سلكنا جميعاً مسلك القاسمي لما كان بيننا خلاف .

ولكن هذا لمن يصدر عن إخلاص ، ويتكلم عن علم ، لا لأمثال النفر الذين ضاقت بهم سبل العيش في دمشق ولم يجدوا إلا هذه البضاعة التي رثت وبار سوقها فراحوا يستجدون المال من بعض التجار بحجة أنهم يحاربون به الوهابية فيأكلون التسعة منه وينفقون الواحد[1] على طبع هذه الرسائل التي يحملها طابعها مصرورة بـ (المحرمة) ليوزع منها على من يلقاه في الطريق ، والتي بلغ من ضيق الناس بها وكراهيتهم لها ، وبلغ من فسادها وضررها أن أمر سماحة المفتي العام بمصادرة نسخها ، وأعلن هو وجماعة العلماء البراءة من

(١) كما قال لي أحد الأساتذة الكبار الموثوق بهم ، ولم أشهد ذلك بعيني

هذا الجاهل الذى يقدم لها والذي سمى نفسه والثلاثـــة من أصحابه بالمفكرين الأحرار (ليبر بانسور) وهو بالاصطلاح الحديث علـم على الملحدين الذين لا يؤمنون بدين .

وفي الجماعة الأخرى كثيرون من أمثال هؤلاء يتعصبون للوهابية بمثل عصبية هؤلاء عليها . منهم الشيخ حامد الفقي المصري وله رسالة اسمها (أثر الدعوة الوهابية) يظهر في كل صفحة منها أنه إنما ألفها تزلفا إلى القوم في نجد واسترضاء لهم ، لا توسلاً إلى الحقيقة يكشفها ويصل اليها.

وهو يصرح فيها(١) بأن ابن تيمية وابن القيم قاما في وقتهما بجهاد ما كان مستولياً على الأمة من الجبت والطاغوت ، فقام عباد هـذه الطواغيت يدفعون عن أنفسهم وعن طواغيتهم بكل ما استطاعوا وما زالت الحرب بين حزب الرحمن وحزب الشيطان الخ ..أي أنه يعتقد أن الذين ردوا على ابن تيمية وحاربوه كلهم من حزب الشيطان وعباد الطواغيت ، وهذا كلام أقل ما يقال فيه أنه مخالف للواقع ومخالف للاسلام، وأنه لا يقوله إلا جاهل ، أو مفتر متحامل ، لأن فيمن رد على أبن تيمية وحاربه رجالا ، هم بلا جدال من أعلام علماء الإسلام ، لا من عباد الطواغيت ولا من حزب الشيطان .

ومن جهل هذا الرجل (الشيخ حامد) أنه يصف في كتابه (٢)

---

(١) ص ١٧

(٢) ص ٢٢

الخلافة العثمانية بأنها نكبة على الإسلام والمسلمين لانها لم تكن في وقت من أوقاتها تعمل على تدعيم بناء الصرح الإسلامي . مع أنها كانت على عهد الأولين من ملوكها عاملة على إعزاز الإسلام ونصره وتأييده ، ولو قرأ سيرة محمد الفاتح التي ألفها الأستاذ سالم الرشيدي (الاندنوسي) لعرف ماذا صنعت هذه الخلافة للاسلام في أول عهدها ، فكيف يصح لعاقل أن يقول أنها لم تكن في وقت من الأوقات تعمل لبناء صرح الإسلام .

ولم يكفه هذا، حتى كذب على علمائها كما كذب على ملوكها فقال[1]: ان أكثر علمائهم لا يعرفون من الإسلام إلا قشوراً لاخير فيها . مع أنه لو نظر في كتاب الشقائق النعمانية لرأى أن من هؤلاء العلماء من لو كان الفقي عاش عشرة أضعاف عمره يحصل ويدرس لما بلغ درجة واحد منهم ولو تضخم مئة مرة لما كان في العلم مثله والعجب أنه بمقدار مايبالغ في ذم العثمانيين يبالغ في مدح الملك السعودي ، ولو كان من العثمانيين اليوم ملك يعطي عطاء السعوديين لكال له المدح جزافاً .

ان الشيخ حامد وأمثاله من أسباب ثورة الناس على الوهابية وأهلها ، وهذا الأسلوب الأرعن يستثير الحليم ويحمل الناس على عداوة صاحبه والإعراض عما يدعو اليه ، ولو أن خصوم الوهابية استأجروا الشيخ حامد لينفروا الناس منها لما صنع في التنفير منها أكثر مما صنع .

---

(١) ص ٢٣

ونحن لسنا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء لا مـــع المتعصبين لما يسمى بـ (الوهابية) ولا مع المتعصبين عليها ، ولكنا أن شاء الله مع الحق . مانريد إلا نصرة الحق وترك الخلاف ، وتوحيد الصف ، والله يعلم المصلح من المفسد ، وهو المستعان .

* * *

تنبيه

الأقوال التي نقلتها من كتب الفقه ، نقلتها بحروفها فإن لم يجدها القارىء في الصفحات التي عينتها ، فليعلم أن ذلك لاختلاف الطبعات ، فليبحث عنها قريباً من الصفحة التي ذكرتها .

هذا ولا آمن وقوع الخطأ المطبعي في بعضها .